بخاخ سعدون، المجلد3 العدد2 سبتمبر 2020، ص ص: 194-206
ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

الجزائريون وصيام شهر رمضان على ضوء الكتابات المحلية والأجنبية خلال القرنين 18 و19

بخاخ سعدون، طالب دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان

Algerians and fasting the month of Ramadan in the light of foreign and national sources from the 18 and 19 century

saadoun.bekhakh@univ-tlemcen.dz

تاريخ الإرسال: 2020/01/05 تاريخ القبول: 2020/03/11 تاريخ النشر: 2020/09/30

الملخص:

عرفت الكتابة التاريخية في أواخر العقد الثالث من القرن العشرين مع مدرسة الحوليات الفرنسية وثلة من أقطابها، ومع أجيال من المؤرخين الذين ساروا على نهج المؤسسين الأوائل توجها جديدا يتجه نحو ما يسمى بالتاريخ الاجتماعي فبعد هيمنة التاريخ السياسي والعسكري، جاء التاريخ الاجتماعي الذي يبحث عن العادات والتقاليد والأعراف، والكوارث الطبيعية، وغيرها من المواضيع التي تمخضت عقب إلغاء القطيعة بين التاريخ ومختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية الأمر الذي أثرى الكتابة التاريخية طرحا ومنهجا.

نسعى من خلال هذا المقال إلى الوقوف على موضوع من مواضيع التاريخ الاجتماعي في الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والمتمثل في صيام الجزائريين لشهر رمضان على ضوء الكتابات المحلية والأجنبية، وهذا من خلال رصد ما يرتبط بعادات وعبادات الجزائريين في هذا الشهر، وكذا لإبراز طبيعة هذه الكتابات من جهة، وإبراز قيمتها المصدرية ضمن حقل التاريخ الاجتماعي من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: المجتمع الجزائري؛ الكتابات المحلية؛ الكتابات الأجنبية؛ التاريخ الاجتماعي؛ صوم رمضان.

صوم رمضان.

Abstract:

This article presents an important topic in the sociological history of Algeria during the period of 18th/ 19th century، Wich represents the fast of Ramadan in the light of local and foreign Accounts to clarify the mores and

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

customs of Algerian in the month of Ramadan، and to specify the category of this stories، and their values in the field of sociological history.

Key words: Algerian society؛ local stories؛ foreign stories؛ sociology history؛ fasting of Ramadan.

1/ المقدمة:

إن التأريخ للعادات والتقاليد من بين أهم المباحث وحقول المعرفة التي يطرقها التاريخ الاجتماعي، فالباحث في هذا المضمار يقف على التنوع الثقافي للمجتمعات، كما يقف على ذهنية الشعوب التي تنعكس على الممارسات اليومية.

أخذت عادات وتقاليد المجتمع الجزائري حيزا كبيرا ضمن الكتابات الأجنبية سواء الكتابات الموضوعية التي سجل فيها أصحابها انطباعاتهم وملاحظاتهم بعفوية وهذا بحكم رؤيتهم لعادات غريبة عنهم وغير مألوفة لديهم، أو الكتابات المدفوعة بالاستشراق، في إطار الاثنوغرافيا الكولونيالية لتسهيل اختراق هذا المجتمع ومعرفة بنيته الاجتماعية، فالمطلع على فهارس هذه الكتابات يجد الكثير من الفصول والمباحث التي تتحدث عن الزواج ومراسيمه، حياة المرأة، الفروسية، اللباس والزينة... وغيرها من العادات.

من بين المواضيع التي لفتت انتباهنا ضمن بعض الكتابات الأجنبية نجد صيام الجزائريين لشهر رمضان، وما يرتبط به من عبادات وعادات، وهو الموضوع الذي نسعى لتقديمه في هذا المقال، وعليه تتبعنا نصوصا تاريخية تمتد زمنيا بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

تعود النصوص التي اعتمدنا عليها لرحالة وأسرى وقناصل عاشوا في الجزائر ومروا بها أواخر العهد العثماني، وكذلك خلال العقود الأولى للاحتلال الفرنسي، وهي الفترة التي كتب فيها تاريخ الجزائر بأقلام العسكريين، ومن بينهم العسكري أوجين دوماس **EUGENE DAUMAS** الذي رجعنا إلى كتابه عادات وتقاليد الجزائر، كما لم نقتصر في بحثنا هذا عن المصادر الأجنبية فقط، وإنما حاولنا البحث عن جوانب هذا الموضوع في ثنايا المصادر المحلية التي تعود لنفس الفترة لكي نقارب بين هذه الكتابات ونبرز طبيعة التشابه والاختلاف في الطرح والمضمون لأنّ المقاربة من شأنها أن تقدم لنا صورة متكاملة عن صيام الجزائريين لشهر رمضان.

فكيف قدمت لنا هذه الكتابات صيام الجزائريين لشهر رمضان؟ وما هي عادات وعبادات الجزائريين في هذا الشهر؟

2/ رمضان على ضوء الكتابات المحلية

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

على الرغم من قلة الكتابات المحلية التي تؤرخ للمجتمع الجزائري خلال هذه الفترة مقارنة بالكم الهائل للكتابات الأجنبية المختلفة المشارب والمتعددة التوجهات إلّا أننا استطعنا الوقوف على نماذج من الكتابات المحلية، التي تتضمن في ثناياها نصوص تاريخية تشير إلى صيام الجزائريين لشهر رمضان.

لقد صدرت مؤخرا عن دار الزيتون للنشر والتوزيع نوازل الشيخ محمد بن عبد الكريم الفقون القسنطيني المتوفي سنة 1702م من تحقيق وتقديم الأستاذين هواري تواتي وعائشة بلعابيد، حيث ورد ضمن هذه النوازل الكثير من المسائل الفقهية في شكل أبواب، تشتمل على العبادات والمعاملات، ومن بين هذه النوازل مسائل تتعلق بصيام شهر رمضان.

حيث ضمن الشيخ محمد الفقون أربعة مسائل فقهية، كانت المسألة الأولى تحت باب مسائل في الصيام ذكر فيها حكم من أفطر خطأ وما يتوجب عليه من القضاء دون الكفارة، في حين ارتبطت المسألة الثانية بمن أفطر رمضان عمدا[1]، أما المسألة الثالثة فقد كانت حول بلع البلغم أثناء الصيام[2]، والمسألة الرابعة كانت حول بلوغ رائحة الدخان للحلق أثناء الصيام[3].

للإشارة فان المسألتين الأولى والثانية نقل الشيخ محمد الفقون فتواهما عن علماء سابقين، في حين أن المسألتين الثالثة والرابعة كانتا قد طرحتا على والده الشيخ **عبد الكريم الفقون** وأجاب بدوره عنهما[4].

من بين المصادر المحلية المهمة التي تشير إلى شهر رمضان نجد رحلة ابن حمادوش[5]، الموسومة بـ" **لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال**" حيث حدثنا عن قراءة أبواب من

1 محمد بن عبد الكريم الفقون: **نوازل قسنطينة**، تقديم وتحقيق: هواري تواتي وعائشة بلعابيد، ط1، دار الزيتون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص- ص 25- 26.

2 نفسه، ص 36.

3 نفسه، ص 39.

4 هو الشيخ عبد الكريم الفقون الملقب بشيخ الإسلام، ينتمي إلى أسرة الفقون القسنطينية عاش ما بين 1580-1662، عرف بعلمه وشخصيته القوية. للمزيد حول شخصيته أنظر:

- أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفقون داعية السلفية**، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986م.

5 هو عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش ولد في مدينة الجزائر وهو من علماء الجزائر خلال القرن 18م، يعتبر من العلماء القلائل الذي اهتموا بالعلوم العقلية ولاسيما مجال الطب. للمزيد حول شخصيته انظر:

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

صحيح البخاري كل يوم إلى غاية ختمه في ليلة السابع والعشرين، حينها تقرأ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفق هذه الصيغة: **اللّهم صل أفضل صلاتك على أشرف مخلوقاتك، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون**[6].

بالإضافة إلى ختم صحيح البخاري في ليلة السابع والعشرين، جرت العادة في نفس الليلة أن تشعل الشموع ويتم التجول في أرجاء المدينة مع الإنشاد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كما كانت تلك الليلة تعرف بقيام الليل[7].

إنّ ما ذكره ابن حمادوش يتطابق مع كلام الشريف الزهار باعتبار أن كلاهما عاش في مدينة الجزائر، غير أن الشريف الزهار ذكر أن قراءة صحيح البخاري كانت تبتدأ من شهر رجب، ليكون الختام في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فضلا عن صلاة التراويح التي يختم فيها القرءان الكريم[8].

لم يقتصر ختم صحيح البخاري على مدينة الجزائر فقط، فهذا ابن سحنون[9] يتحدث عن باي الغرب محمد الكبير (**1779- 1796**) وعن حضوره لجلسات سرد صحيح البخاري وعنايته بالعلماء إذ يقول "...**وهكذا كانت سيرته في شهر رمضان عند ختم صحيح البخاري**..."، غير أنه على خلاف مدينة الجزائر التي يختم صحيح البخاري فيها عند ليلة السابع والعشرين من رمضان، كان في بعض نواحي بايلك الغرب يختم في سابع يوم من العيد انطلاقا مما أشار إليه ابن سحنون في قوله"...**فإذا**

- أبو القاسم سعد الله: **الطبيب الرحالة ابن حمادوش "حياته وآثاره"**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1982.

6 عبد الرزاق ابن حمادوش: **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1983، ص-ص 121-125.

7 نفسه، ص 126.

8 أحمد الشريف الزهار: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**، تحقيق: أحمد توفيق المدني الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1974 ، ص 182.

9 هو أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، نسبة إلى بني راشد، من علماء القرن الثامن عشر ومن المقربين إلى الباي محمد الكبير، فقد كان كاتبا في بلاطه، اشتهر بتأليفه الذي خلد فيه ذكرى فتح وهران والموسوم بـ" الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" للمزيد حول شخصيته أنظر:

- ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999، ص-ص 440- 448.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

كان سابع العيد ختم فيه صحيح البخاري وتهيأ له السلطان أحسن تهيئ..."[10] هذا وكان حين ختم صحيح البخاري يطعم الطعام، وتنشد الأناشيد والمدائح النبوية[11].

لقد اتسم ختم صحيح البخاري بطابع مغاربي يبرز مدى الترابط والتواصل بين هذه الأقطار، فحتى العربي المشرفي[12] الذي عاش في المغرب خلال القرن التاسع عشر في بلاط العلويين ذكر هو الآخر ختم صحيح البخاري، وهذا في معرض إشادته بالسلطان المغربي محمد بن عبد الرحمان (**1859-1873**) في مخطوطه **الآيات والحوادث**"...**وختمت التذييل بمناقب سيدنا وذكر أشياخه في سلم العلميات وتحليه في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان بحلية الحديث واعتكافه على قراءة صحيح البخاري فيها**..."[13].

إنّ ما لفت انتباهنا ونحن نطلع على بعض المصادر المحلية حول هذا الموضوع، هو عدم حديث حمدان خوجة[14] في كتابه المرآة عن شهر رمضان، رغم أنه تحدث على كير من طبائع وعادات الجزائريين شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، فلو تحدث هذا الأخير لكان ربما قد ذكر أمورا أخرى غير التي ذكرنا آنفا.

---

10 حمدادو بن عمر: **المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب خلال القرنين 17-18م**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013، ص 138.

11 نفسه، ص 139.

12 هو العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي عاش خلال القرن 19م، سليل الأسرة المشرفية المتوطنة في غريس خلال العهد العثماني، والمهاجرة إلى المغرب الأقصى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، عرف بعلمه وكثرة مؤلفاته التي تزيد عن ثلاثين مؤلفا، للمزيد حول شخصيته انظر:

- عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى الجزائر، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص 227- 228.

13 العربي المشرفي: **الآيات والحوادث**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 3013، ص 13.

14 هو حمدان بن عثمان خوجة ينتمي إلى أسرة حضرية في مدينة الجزائر، وبالتالي فهو من أشهر أعيان مدينة الجزائر نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال، مارس التجارة، وعرف برحلاته التي ساهمت في توسيع ثقافته، كما كان من المعارضين لسياسة الجنرالات الفرنسيين في بدايات الاحتلال، من أشهر مؤلفاته كتاب إتحاف المنصفين، وكذلك كتاب المرآة، توفي حوالي 1845م. للمزيد حول شخصيته انظر:

- ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999، ص- ص 488- 500.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

3/ صيام رمضان على ضوء الكتابات الأجنبية

تعددت الكتابات الأجنبية التي اهتم أصحابها على اختلاف أطيافهم - **أسرى ورحالة وقناصل وعسكريين**- بالكتابة عن عادات وتقاليد الجزائريين، سواء ما كان عرفيا أو دينيا، أو ما كان رسميا أو شعبيا.

يأتي هذا الاهتمام من الأوروبيين لدوافع عديدة كحب المعرفة والفضول وتسجيل كل ما هو غير مألوف ومعهود في المجتمعات الغربية، أو بدافع الاكتشاف والاستشراق خدمة للإدارة الفرنسية التي تسعى لاختراق المجتمع الجزائري.

لعل من بين أهم ممارسات الجزائريين التي لفتت انتباه الأوروبيين هي صيام شهر رمضان، فلا يكاد يخلو مؤلف أو رحلة تتحدث عن عادات وتقاليد الجزائريين إلا ونجد فيها إشارات عن صيام شهر رمضان، وجميع ما يرتبط به من عادات وعبادات، غير أن حجم الحديث يختلف من كاتب إلى آخر، وهذا بحسب الظروف المحيطة به فهناك من كان في سعة من أمره، الأمر الذي يؤدي بصاحبه الى الاستفاضة في الحديث عن هذا الشهر، على غرار الرحالة الألمان هابنسترايت **(HEBENSTREIT)** الذي زار الجزائر عام **1732م**، وكذلك الألماني الآخر فندلين شلوصر **(VENDLIN SCHLOSER)** الذي كان أسيرا في بلاط أحمد باي ما بين (**1832-1837م**)، زيادة على الرحالة هاينريش فون مالتسان **(HEINRICH VON MALTZAN)** الذي زار مدينة قسنطينة عام **1862م** وكتب عن صيام شهر رمضان بشيء من التفصيل حيث يقول "...**عندما زرت قسنطينة لآخر مرة في ربيع سنة 1862 أتيح لي أن أعيش رمضان، شهر المسلمين المعظم... فوجدت الفرصة سانحة للتعرف على تقاليد الأهالي عن طريق مخالطتهم وذلك ما لا يتاح عادة للأوروبي لأن صلته بالمسلمين كثيرا ما تكون محدودة**..."[15] تجدر الإشارة إلى أنه هناك من أتيحت له فرصة الحديث عن صيام شهر رمضان بحكم إقامته في وسط حضري، إلا أنه تجاوزه واكتفى بذكر أنه شهر يمنع فيه الأكل والشرب، وهذا ما ينطبق على حالة الأمريكي كاثكارت **(CATHCART)** الذي راح يذكر حادثة انفلات أمني داخل أحد سجون مدينة الجزائر تزامنت مع بداية هذا الشهر[16]، كما انه هناك من أدرك رمضان ولم يسهب في الحديث عنه مثلما هو شأن الأسير الدانماركي ميتزون

15 هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا**، ترجمة: أبو العيد دودو، ج3 الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1980، ص 55.

16 كاثكارت: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة: اسماعيل العربي الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1982، ص 252.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

(METZON) الذي اكتفى هو الآخر بذكر امتناع الجزائريين عن الأكل والشرب من طلوع الشمس إلى غروبها[17] وهذا طبعا بحكم ظروف أسره، فالمتتبع ليومياته كأسير يجدها لا تخرج عن عمله في الميناء وعودته للسجن، وبالتالي فقد كان بعيدا عن عادات شهر رمضان.

4/ من هلال رمضان إلى هلال العيد

إن نماذج الكتابات الأجنبية التي وقفنا عليها بخصوص شهر رمضان تعطينا صورة واضحة عن كل ما يتعلق به عادات وعبادات، منذ إعلان الصيام إلى غاية آخر يوم من شهر رمضان.

كان يتم الإعلان عن بدأ الصيام خلال العهد العثماني بطلقة مدفع وهذا لإعلام الناس وحتى إعلان الإفطار هو الآخر كان يعلن عنه بطلقة مدفع[18]، حسب مالتسان **(MALTZAN)** فإن الإعلان عن موعد الإمساك والإفطار بطلقة مدفع استمر خلال العهد الفرنسي، وهذا من خلال قوله"...**في شهر رمضان تتكرم الحكومة الفرنسية بوضع طلقة مدفع تحت تصرف المسلمين يتم بواسطتها الإعلان عن انتهاء الصوم، ففي مساء كل يوم ينطلق فيما بين السادسة والسابعة صوت المدفع**..."[19].

لقد سهلت الإقامة في الجزائر للأوروبيين معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بالصيام من شروط الصوم وموانعه، وحتى ما يتعلق بالكفارات والعقوبات التي يتعرض لها من أفطر رمضان عمدا، ففي هذا الصدد نجد هابنسرايت **(HEBENSTREIT)** يقول "...**لاحظت أن المسلمين يمتنعون عن الأكل والشرب أثناء اليوم طيلة الشهر**..."[20]، ويضيف أحد الأسرى الأمريكان"...**وأثناء ذلك لا يقتربون من المرأة ولا يشربون ويبتعدون عن الشمة والتدخين من طلوع النهار إلى غروب الشمس**..."[21].

17 جيريت ميتزون: **يوميات أسر في الجزائر 1814- 1816**، تعريب: محمد زروال، الجزائر، دار هومة، دط، 2010، ص 41.

18 فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837**، ترجمة: أبو العيد دودو، الجزائر، وزارة الثقافة، دط، 2007، ص 89.

19 هاينريش فون مالتسان: **المصدر السابق**، ص 57.

20 هابنسترايت: رحلة **العالم هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م**، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، تونس، دار الغرب الإسلامي، دط، ص 45.

21 جيمس ويلسون ستيفن: **الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785- 1795**، ترجمة: علي تابليت، الجزائر، ثالة للنشر، دط، 2007، ص 245.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

هذا ويتحدث الضابط العسكري دوماس **(DAUMAS)** عن الحالات التي يجوز فيها الإفطار مع القضاء، أو إخراج صاع من القمح عن كل يوم، وهذه الحالات تتعلق بالشيوخ كبار السن الذين يشربون أيام الحرارة، أو من كان مريضا أو النساء اللواتي هن بالحمل أو وضعن حملهن، وجميعهم يحصلون على رخصة من شخصية دينية[22].

بالرغم من هذه الرخص للمضطرين فإن الجزائريين كثيرا ما كانوا يرفضون تناول الدواء، إلا في حالة اشتداد وطأة المرض، وقد يؤدي هذا إلى التهلكة[23]، إن هذا الحرص من الجزائريين على صيام شهر رمضان جعل مالتسان **(MALTZAN)** يشيد بتمسك الجزائريين بشعائر دينهم، إذ يقول"...**فصوم رمضان واجب ديني لا يتهاون فيه المسلمون جميعا...إن أكثر الشباب دعارة وفسقا في الجزائر ليستقيمون في شهر رمضان وتتسم أعمالهم بالصلاح فهم أيضا يصومون نهارهم ولا يأتون المفاسد والآثام التي تعودوا إتيانها في الشهور الأخرى، والمسلم بصورة مطلقة يأخذ رمضان مأخذ الجد...**"[24].

بالرغم من حرص الجزائريين على صوم شهرهم المعظم، فقد تقع انتهاكات لحرمة هذا الشهر، لذا نجد دوماس **(DAUMAS)** يذكر العقوبات المختلفة التي تطال المفطر عمدا، فقد يتعرض للسجن، أو الضرب أو التغريم، غير أنه لم يذكر لنا أنه قد تصادف مع هكذا حالات[25].

هذا جانب من الأمور التعبدية المتعلقة بصيام رمضان حسب هذه المصادر وكما سبقت الإشارة إلى أن تواجد الأوروبيين وسط المجتمع الجزائري جعلهم يلاحظون ويسجلون أدق التفاصيل، حيث يذكر الرحالة الألماني هابنسترايت **(HEBENSTREIT)** حسب مشاهداته في مدينة الجزائر أن مشقة الصوم كانت تقع على جماعة البرانية الذين يقومون بأعمال منهكة جدّا، بينما الذين هم في منزلة أرفع وهم الحضر، فإنهم يجتنبون هذا الإجهاد[26]، لم تقتصر هذه الملاحظة على مشاهدات هابنسترايت **(HEBENSTREIT)**، فحتى مالتسان **(MALTZAN)** وقف على نفس الأمر في قسنطينة حيث يقول"...**وكثيرا ما كنت أرى في مثل هذا الوقت العمال عربا وقبائل، مجتمعين في الميدان الرئيسي بقسنطينة، وفي يد كل واحد منهم قطعة خبز أو برتقالة أو أي**

22 Eugène Daumas:**Meours et coutumes de L'Algérie**،édition Anep ، 2006، p 82.

23 فندلين شلوصر: المصدر السابق، ص 89.

24 هاينريش فون مالتسان: **المصدر السابق**، ص 63.

25 Eugène Daumas: op ، cit ، p 82.

26 هابنسترايت: **المصدر السابق**، ص 45.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

شيء يصلح للأكل...وعندما يسمعون بعد ذلك صوت الطلقة ينسون كل شيء، ويغرقون في إشباع جوعهم الذي كان قد أثير إلى أقصى حد..."[1].

ودائما مع إفطار الجزائريين عند الآذان وطلقة المدفع، يخبرنا دوماس **(DAUMAS)** أن الجزائريين يفطرون على حبات من التمر وكأس من الماء، ثم يتوجهون إلى الله بالدعاء طالبين مغفرة الذنوب ما تقدم منها وما تأخر[2].

في قسنطينة يصور لنا مالتسان **(MALTZAN)** مختلف المأكولات والحلويات، بين ما هو محلي، وبين ما هو تركي، كما يتحدث عن طرق تحضيرها وإعدادها، ولكي يقرب أوصاف وأذواق هذه الأكلات والحلويات للقارئ، نجده يشبهها بالحلويات الأوروبية حيث شبه الزلابية بالشطائر السويسرية، وكذلك شبه البقلاوة بالكعك الألماني، بالإضافة إلى حديثه عن الكسكسي والبوراق والمشلوش، لقد اعتبر مالتسان أنّ شهر رمضان هو موسم الحلويات[3].

من بين الأمور المرتبطة برمضان، والتي ركزت عليها كتابات الأوروبيين هي ليالي رمضان، وما كان يتم فيها من احتفالات وسهرات وزيارات للأقارب حيث كانت تعرف شوارع مدينة الجزائر خروج الجزائريين للتجول أو لمشاهدة الألعاب البهلوانية، وسماع القوالين والمداحين، كما كانت المقاهي تضاء بالشموع والمصابيح[4].

بالإضافة إلى ما سبق كانت تقام حفلات ومسرحيات القراقوز، التي كان يحضرها الجزائريون والأوروبيون على سواء، لما كانت تتميز هذه المسرحيات من طرافة وفكاهة، غير انه حسب الألماني موريس فاغنر **(MAURICE WAGNER)** الذي زار الجزائر في العقد الرابع من القرن التاسع عشر أن الفرنسين ألغوا هذه الحفلات عندما وجدوا أنّ الجزائريين أصبحوا يستهزؤون من الفرنسين في مشاهد تجسد روح المقاومة الجزائرية[5]. لم تقتصر حفلات القراقوز على مدينة الجزائر فقط، فقد تحدث

1 هاينريش فون مالتسان: **المصدر السابق**، ص 57.

2 Eugène Daumas: op، cit، p 82.

3 هاينريش فون مالتسان: **المصدر السابق**، ص- ص 59- 60.

4 Pierre Boyer: la vie quotidienne a Alger a la veille de l'intervention française، librairie hachette، 1963، p 225.

5 أبو العيد دودو: **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830- 1855**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1975، ص 36.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

تحدث عنها مالتسان **(MALTZAN)** في قسنطينة كما انه سجل عنها انطباعا سيئا بعد حضوره احدى الحفلات وقرر عدم حضورها في المستقبل[1].

بالرغم من إحاطة هؤلاء الأوروبيين بالكثير من الجوانب المتعلقة بشهر رمضان في الجزائر، إلا أن بعضهم قد أخطأ في ذكر بعض الأمور، فالأسير الأمريكي الذي أشرنا إليه ذكر بأن رمضان هو ثالث ركن في الإسلام[2]، وكذلك دوماس **(DAUMAS)** هو الآخر اعتبر أن رمضان هو ثالث ركن في الإسلام[3] في حين أن رمضان هو رابع ركن في الإسلام.

كما أخطأ أيضا الرحالين الفرنسيين ويلد **(WYLD)** ورفيقه ليسور **(LESSORE)** اللذين زارا الجزائر في السنوات الأولى للاحتلال حينما ذكرا أن رمضان فيه أربعين يوما[4]، هذا ونجد مالتسان **(MALTZAN)** هو الآخر يخطأ عندما يعتبر أن انتهاء صيام المسلمين عند غروب الشمس أمر غير منطقي، على خلاف اليهود الذين يؤخرون الإفطار إلى غسق الليل حين تظهر النجوم، واعتبر رأيه صحيحا لدرجة ذكره عن نفسه أنه كثيرا ما كان يناقش المسلمين في هذه القضية، ولم يتمكن بإقناعهم[5].

5/ احتفالات عيد الفطر

إن الميزة التي تشترك فيها هذه النماذج من الكتابات الأوروبية هي ذكر احتفالات عيد الفطر على المستويين الرسمي والشعبي عقب انتهاء شهر الصيام، ففي هذا الصدد يذكر هابنسترايت **(HEBENSTREIT)** أنه بمجرد رؤية هلال العيد ينقل الخبر على جناح السرعة إلى الداي ليأمر بدوره مباشرة إطلاق المدافع تعبيرا عن فرحتهم باستقبال العيد، وخلال اليوم الأول وبعد صلاة العيد يتوجه الناس إلى القصر الداي لتهنئته[6]، حيث يتوجه إليه قناصل الدول الأوروبية لتقبيل يده، بالإضافة إلى أعيان وأشراف المدينة، أمناء الحرف، مقدم الطائفة اليهودية[7].

1 هاينريش فون مالتسان: **المصدر السابق**، ص- ص 63- 64.

2 جيمس ويلسون ستيفن: **المصدر السابق**، ص 245.

3 Eugène Daumas: op ،cit ، p 81.

4 ويلد وليسور: **رحلة طريفة في إيالة الجزائر**، ترجمة: محمد جيجيلي، الجزائر، دار الأمة، ط2، 2002م ص 88.

5 هاينريش فون مالتسان: **المصدر السابق**، ص 54.

6 هابنسترايت: **المصدر السابق**، ص 48.

7 Pierre Boyer:op ،cit ، p 226.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

لقد اعتبر ويليام شالر[1] **(SHALER)** أنّ تقبيل يد الداي دليل على الخنوع فبعض القناصل ينتحلون المعاذير لاجتناب حضور هذه المراسيم، كما استطاعت كل من فرنسا وبريطانيا واسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية أن تعف قناصلها من هذا التقليد فعوض تقبيل اليد يكتفي قناصل هذه الدول بالمصافحة والانحناء أمام الداي والقنصل ويليام شالر **(SHALER)** من بينهم[2].

للإشارة فإن الزيارات كانت تتم أيضا للبايات كما هو الحال مع أحمد باي قسنطينة الذي يفتح باب قصره لسكان المدينة وحضورهم لمأدبة العشاء ليلة العيد[3] يشير هابنسترايت **(HEBENSTREIT)** إلى أمر مهم مرتبط بهذه الاحتفالات وهو خوف الداي من تعرضه للاغتيال داخل قصره من خصومه الذين يستغلون هذه الفرصة لإزاحته من كرسي الحكم[4].

في اليوم الأول من عيد الفطر اعتاد الأتراك على القيام بالمصارعة في إحدى الساحات الرملية وعلى أنغام موسيقى الإنكشارية، حيث يرتدي المصارعون سراويل قصيرة، كما يدهنون أجسامهم بالزيوت، والذي يتمكن من طرح خصمه أرضا يحصل على جائزة[5]، وفي قسنطينة كانت تقام ألعاب الفروسية التي يشرفها الباي بحضوره شخصيا، وعقب انتهاء هذه الألعاب يقوم الباي بتوزيع الأموال والهدايا على الفرسان وعلى العامة من الناس[6].

لقد أشار الرحالين الفرنسيين السابقين إلى الاحتفالات التي كان يقوم بها الزنوج في مدينة الجزائر بمناسبة عيد الفطر، والتي لفتت انتباههم نظرا لطابعها الخاص خصوصية جماعة الزنوج في حد ذاتها، كجماعة وافدة على المدينة حيث كانت هذه الجماعة تنتظم في فرق كل فرقة تضم ما بين العشرة والخمسين فرد، منهم من يرقص، ومنهم من يقرع الطبول، ومنهم من يصفق، وكل هذا كان يتم بطريقة محكمة تبرز مدى انسجام أداء هذه الجماعات[7].

---

1 قنصل أمريكي في الجزائر أقام بها بين سنتي 1816-1824، وقد كتب مذكراته التي تعد مصدرا مهما خلال الفترة وتكفل الأستاذ المرحوم إسماعيل العربي بترجمتها.

2 ويليام شالر: **مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824**، ترجمة: العربي اسماعيل، الجزائر، الشركة الوطنية للكتاب، دط، 1982ص 65.

3 فندلين شلوصر: **المصدر السابق**، ص 86.

4 هابنسترايت: **المصدر السابق**، ص 48.

5 نفسه، ص 48.

6 فندلين شلوصر: **المصدر السابق**، ص 86.

7 ويلد وليسور: **المصدر السابق**، ص 88.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

6/ الخاتمة

من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا حضور صيام شهر رمضان أحد أهم العبادات التي يقوم بها المسلمون عامة والجزائريون خاصة ضمن الكتابات التاريخية المحلية منها والأجنبية، وإذا كانت الكتابات المحلية على قلتها تركز على شعائر المسلمين وعباداتهم، فإن الكتابات الأجنبية ركز فيها أصحابها على العادات والعبادات، مع تغليب الحديث عن العادات في كثير من الأحيان، غير أنه بقراءة تركيبية لما جاء في الكتابات المحلية والأجنبية على سواء تتضح لنا جوانب هامة من ذهنية وممارسات الجزائريين المتعلقة بشهر رمضان، كما أننا نقف على استمرارية وانقطاع بعض العادات.

للإشارة فإننا قمنا برصد نماذج تعد قليلة مقارنة بالكم الهائل من الكتابات الأوروبية والتي تمتد زمنيا إلى غاية القرن العشرين، وبالتالي فإنه يمكن للباحث أن يتعمق في هذا البحث ليقف على جوانب أخرى متعلقة بالموضوع.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر

أحمد الشريف الزهار: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1974.

العربي المشرفي: **الآيات والحوادث**، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 3013.

هابنسترايت: **رحلة العالم هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م**، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، تونس، دار الغرب الإسلامي، دط.

هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا**، ترجمة: أبو العيد دودو، ج3 الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1980.

ويلسون ستيفن: **الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785- 1795**، ترجمة: علي تابليت، الجزائر، ثالة للنشر، دط 2007.

كاثكارت: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة: اسماعيل العربي الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1982.

محمد بن عبد الكريم الفقون: **نوازل قسنطينة**، تقديم وتحقيق: هواري تواتي وعائشة بلعابيد، الجزائر، دار الزيتون للنشر والتوزيع، ط1، 2018.

ميتزون جيريت: **يوميات أسر في الجزائر 1814-1816**، تعريب: محمد زروال، الجزائر، دار هومة، دط، 2010.

عبد الرزاق ابن حمادوش: **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1983.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837**، ترجمة: أبو العيد دودو، الجزائر، وزارة الثقافة، دط، 2007.

Daumas Eugène: **Meours et coutumes de L'Algérie** ، édition Anep ، 2006.

2- المراجع

أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفقون داعية السلفية**، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1 1986م.

أبو القاسم سعد الله: **الطبيب الرحالة ابن حمادوش "حياته وآثاره"**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1982.

أبو العيد دودو: **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830- 1855**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، دط 1975.

ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1 1999.

عبد المنعم القاسمي: أعلام **التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى** الجزائر، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

Pierre Boyer: **la vie quotidienne a Alger a la veille de l'intervention française**، librairie hachette، 1963.

3- الرسائل الجامعية

حمدادو بن عمر: المساهمة **العلمية لمتصوفة بايلك الغرب خلال القرنين 17-18م**، أطروحة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013.